

درجات الايمان

للايمان درجات تتوقف كل واحدة منها علي مدي معرفة و انشداد المرء الي ربه، و هي تبدأ من مرحلة الاقرار باللسان حتي تبلغ أسمي الرتب "و سئل [علي (ع)] عن الايمان فقال : الايمان معرفة بالقلب ، و اقرار باللسان ، و عمل بالا ركان"⁽⁴⁾ و كلما كان اهتمام الانسان بالامور غير الالهية و غير المعنوية أشد، ينحدر ايمانه نحو الضعف : **(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)** ⁽⁵⁾ و يقاس ايمان القلب حسب درجة تعلقه بالله من جانب، و بالاشياء الاخري من جانب آخر. فان كان يميل الي الدنيا والاخرة و الي الله والامور الدنيوية بدرجة واحدة، فقيمة ايمانه تكون في تلك الدرجة . و من الطبيعي أن الاشياء ذات السنخ الواحد والتي لا يوجد تعارض بينها و لاتزاحم، لامشاحة و لا اشكال في أن يكون الايمان بها جميعها في عرض واحد، كالايمان بالكتب السماوية، والانبياء، والمعاد. و حتي في هذه الامور تتباين درجات الايمان تبعا لمعرفة كل شخص و رغبته .

-
- [1] ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 114 .
[2] سورة الحجرات (49)، الاية 15 .
[3] سورة التوبة (9)، الاية 45 .

- [4] الشريف الرضي ، نهج البلاغة، الحكمة 227، ص 508 .
[5] سورة الاحزاب (33)، الاية 4 .

----- ص 66 -----

و علي أية حال، فان للايمان درجات، و يمكن أن يستحث ويستنهض نحو مراتب أسمي . والعكس صحيح أيضا؛ اذ يؤدي اهماله الي اضمحلاله و ضموره .

روي عن الامام الصادق (ع) أنه قال : اذا أذنب الرجل خرجت في قلبه نكتة سوداء، فان تاب انمحت .⁽¹⁾ و ورد في حديث آخر عنه : "ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست علي شيء".⁽²⁾ و ورد أيضا في حديث آخر عنه : "ان الله عزوجل وضع الايمان علي سبعة أسهم ... فمن جعل فيه هذه السبعة الاسهم فهو كامل ...".⁽³⁾

يفهم من هذه الملاحظة التي تضمنتها هذه الرواية و من آيات و روايات أخرى، أنه لايجوز التعامل مع الناس علي أساس درجة و نوع ايمانهم، و جعل حقوقهم الاجتماعية خاضعة لما يعتنقونه من معتقدات .⁽⁴⁾

قال عبدالرحيم القصير: كتبت الي أبي عبدالله الصادق (ع) رسالة مع عبدالملك بن أعين أسأله فيها عن الايمان، فكتب الي : "الايمان هو الاقرار باللسان و عقد في القلب و عمل بالاركان".⁽⁵⁾

و في هذه الرواية و روايات أخرى جعل الاقرار باللسان جزءا من الايمان . و لابد طبعا من الانتباه الي أن الاقرار هو في الواقع بداية الايمان، و طالما لم يتغلغل الايمان في القلب فما هو بايمان . فقد صرح القرآن الكريم بأن الاقرار اللساني الذي صدر من الاعراب ليس ايمانا، وانما هو مجرد دخول في الاسلام : (قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبكم) .⁽⁶⁾

و أيدت آية أخرى هذه الحقيقة مبينة أن الاقرار وحده ليس ايمانا (و من الناس من

[1] الكليني ، الكافي ، ج 2 ، ص 271 ، الحديث 13 .

[2] المصدر السابق، ص 44 و 45 ، الحديث 2 .

[3] الكليني ، الكافي ، ج 2 ، ص 42 .

[4] راجع من جملة ذلك : رسالة الحقوق، ص 15 و 32 - 39 ; كراسة درس الخارج في المكاسب المحرمة، تحت عنوان "سب المؤمن"، تنمة "حرمة سب الانسان بما هو انسان"،

- [5] الكليني ، الكافي ، ج 2 ، ص 27 ، الحديث 1 .
[6] سورة الحجرات (49)، الآية 14 .

----- ص 67 -----

يقول آمنّا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين) .⁽¹⁾

و من جانب آخر ينظر الي العمل بالتكاليف كجزء من الايمان، حيث ينبغي القول : ان العمل شبيه بالاقرار و هو يأتي كافراز و كأثر للايمان، و لكنه ليس الايمان نفسه . والحقيقة هي أن من يدعي الايمان اذا لم يعمل وفقا لما يقتضيه ايمانه، فذلك مؤشر علي أنه لا ايمان له . فالعمل دلالة علي صدق المدعي . و ان لم يقترن الايمان بالعمل فمعني ذلك عدم صدق الايمان . و ما يتعين علي المؤمن هو أن يقترن ايمانه بالعمل . والسعادة انما تأتي من اقتران هذين الامرين معا. و ذكرهما الي جانب بعضهما في القرآن الكريم دليل علي أن الايمان شئ آخر غير العمل، و أن المؤمن من ينعقد قلبه علي شئ و يظهر في عمله و سلوكه، قال الله تعالى : (و من يعمل من الصالحات من ذكر أو انثي و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة) .⁽²⁾

هناك علاقة طردية متبادلة بين الايمان والعمل الصالح ; فكلما كان الايمان أقوى ازداد العمل الصالح . و كلما ازداد العمل استحکم الايمان . فالعمل ثمرة الايمان، و الايمان منطلق و حافز للعمل الصالح . و قوام العمل الصالح رهن بالايمان .

من الطبيعي أن نيل معالي الرتب الايمانية رهين بالعمل والمجاهدة . فهناك من يستطيعون تمتين ايمانهم، و يكونون علي الدوام منصاعين لامره، و يجعلون قلوبهم حرما لله لا يدخلها غيره .⁽³⁾ ان مجاهدة المؤمنين ترفعهم الي منزلة رفيعة و تجعلهم في عداد أولياء الله و أحبائه .

ما يجب الايمان به

المؤمن : هو من يؤمن بالله و بالمعاد والنبوة و ضروريات الدين (والمؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين احد من رسله و قالوا سمعنا و اطعنا غفرانك

-
- [1] سورة البقرة ، الاية (2)، الاية 8 .
[2] سورة النساء ، الاية (4)، الاية 124 .
[3] المجلسي ، بحار الانوار، ج 67، ص 25، الحديث 27 .

----- ص 68 -----

ربنا و اليك المصير) .⁽¹⁾ و انكار هذه الامور كفر (و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا) .⁽²⁾ فالمؤمن هو من يؤمن بالله و بصفات جماله و جلاله و ربوبيته و وحدانيته، و أنه هو الخالق والمدبر لكل عالم شؤون الوجود، و ينزله عن كل شرك و نقص .

ان التصديق بالنبوة و بأن كل الانبياء مبعوثون من الله عزوجل ، جزء من الايمان . و من مسلتزمات الايمان أيضا الاعتقاد بالنبوة و بشخص النبي ، و بالوحي و الكتاب السماوي و الملائكة . و في هذا المجال يعتبر الايمان بآخر الرسل النبي محمد بن عبدالله (ص) و كتابه السماوي ، و كل ما أبلغه للناس من ضروريات الدين، و أوصيائه، من الاوامر الالهية القطعية، و عدم الايمان بها يخرج المرء من الجماعة المؤمنة .

كما يعتبر الايمان بالبرزخ، و المعاد، و الجنة، و النار، و الصراط، و الشفاعة، و الجزاء و العذاب من اصول الدين، و لا يتحقق الايمان الكامل الا بالاعتقاد بها قلبيا.

الاصول الاساسية للايمان هي الاعتقاد بالله و بالنبوة و بالمعاد. و أما بقية الامور فهي تبع لها و منبثقة منها، و هي من متعلقات الايمان التي لاسبيل الي انكارها.

و يمكن القول بكلمة أخرى : ان ما ينبغي الايمان به هو الله الذي يخضع كل شئ لارادته و مشيئته . و الانبياء، و الوحي ، و الكتب السماوية، و الملائكة و رسله، و المعاد أيضا هو الرجوع اليه سبحانه، و الدين هو أحكامه المفروضة .

ضرورة الايمان

الايمن والمعتقد من المتطلبات الاساسية للانسان، و هما في الوقت ذاته تكليف ملقي علي عاتقه، و أهميتهما بالنسبة اليه كالطعام . فمثلا يحتاج الانسان الي الطعام، فهو يحتاج أيضا الي العقيدة والايمن . و يمكن القول من باب التمثيل - لا الاستدلال مثلا أن الانسان لا يؤذن له بتناول أي طعام كان لسد جوعه ; اذ ربما تعتبر بعض الاطعمة بمثابة سم

-
- [1] سورة البقرة (2)، الآية 285 .
[2] سورة النساء (4)، الآية 136 .

----- ص 69 -----

قاتل له، كذلك الحال أيضا بالنسبة الي الايمان ; اذ يجب عليه أن يدقق و ينقب بشأنه غاية ما يمكن ; و ذلك لان عمله و سلوكه انما ينتظم وفقا لما يختاره من المعتقدات والايمن .

و في ضوء ما سبق ذكره هناك، ملاحظتان مهمتان تسترعيان الانتباه في ما يخص ضرورة الايمان : أولاها هي أن الايمان - كما سبق ذكره - عبارة عن تعلق و انشداد. و يمكن القول بعبارة أخرى : ان الايمان والكفر من شؤون القلب و خاضعان لارادته . فكيف يمكن غرس مثل هذه الحالة في القلب، أو دعوة الاخرين اليها؟ ان الاعتقاد أمر قلبي ، و اقبال القلب عليه أو

رفضه له يتوقف علي ظروف خاصة . فبعض الناس تبعا لظروفه النفسية والتربوية قد تستهويه بعض الامور و يميل اليها، و قد ينفّر من أمور أخرى و يتجنبها. فهو قد يحب بعض الاماكن، والاطعمة، والصور، و حتي الناس، و لكنه ينفّر و يشمئز من أشباهها و مثيلاتها. بينما يستقبح آخرون تلك الاشياء نفسها و ينفرون منها كليا. و في مثل هذا الوضع هل من المنطقي أن يقال : ينبغي الايمان ببعض الاشياء والتعلق بها، و كره أشياء أخرى والكفر بها؟

و أما الملاحظة الاخرى فهي : ما الداعي للايمان بأمر معينه علي وجه الخصوص بحيث يؤدي انكارها و عدم الاعتقاد بها الي استحقاق العذاب ؟

أما بالنسبة الي الملاحظة الاولى فهي رغم أن الحب والبغض - و هما من خصائص النفس - أمور لا ارادية، بيد أن مقدماتهما بيد الانسان نفسه . فعلي الرغم مما يبدو ظاهريا من أن الكثير من نوازع الحب والكره تأتي من غير مقدمات، لكن الواقع ليس كذلك . و لاشك في أن كل محبة أو كراهية تعزى الي علل و مقدمات كثيرا ما تكون اختيارية .

يمكن تحويل المحبة الي عدا، أو تقليص المحبة و تضخيم العدا. فالايمن خاضع لمقدمات و شروط؛ فان توفرت مقدماته العقلية والحسية تنغرس عند ذاك بذور الايمان، و هكذا الحال بالنسبة الي الكفر أيضا.

و بعبارة أخرى : ان وجود الناس و ميولهم الذاتية تمتزج عادة بالعقيدة والايمان . و هم ان لم ينشدوا الي حقيقة عالم الوجود، فقد يصنعون لانفسهم ركيزة من حجر و خشب يصنعون منها أوثانا يتعلقون بها. اذا فالاولي، بل ان الضرورة تفرض أن يكون التعلق

----- ص 70 -----

والانشداد الي حقيقة الوجود، و أن لاتحل محله أشياء أخرى تافهة . و هذا هو سر دعوة الانبياء الي أصول الايمان، وجعل الاصول الجزئية من تكاليف الناس الذين اذا أنكروها شملهم العذاب الالهي . و هذا ما حصل بالفعل حيث وقع العذاب علي أقوام أنكروها بعناد.

فهي من باب الظروف والخلفيات المتوفرة لدي الافراد. اذا فالدعوة الي الايمان أمر عقلائي ، و كذا الدعوة الي تمهيد مقدماته، اذ انها مقدمات اختيارية .

و أما ما يخص الملاحظة الثانية : فمن الضروري الايمان ببعض الامور سوية، و لايمكن الفصل بينها والايمان بقسم منها و رفض القسم الاخر انطلاقا من التكوين والتوجهات الخاصة بكل انسان . فشخصية الانسان تتبلور من خلال ميوله و تعلقاته و أفكاره . و كلما كانت هذه الامور أقرب الي حقائق الوجود تتبلور شخصيته علي نحو أفضل و أقوم، و كلما كانت وهمية

و بعيدة عن الواقع يبتعد الانسان عن هويته أكثر فأكثر. و من البديهي أن أهم واقع في نظام الوجود هو مبدؤه المدبر له الذي اليه المعاد.

ان مركز ثقل الوجود هو الله عزوجل . والوجود كله منه و اليه . و في ضوء ذلك فان أي مركز آخر ينشد اليه الانسان و يتعلق به ليس الا وهما، و لايزيده الا بعدا عن حقيقة الوجود و عن هويته الذاتية . فالانسان لا يهديه الي الطريق القويم في معترك الحياة، و لا يرشده الي مبدأ الوجود الا هذه الهوية التي لا يصل بدونها الي أية غاية .